

مجمع الأمثال

568 - أَبْخَلُّ مِنْ مَادَرٍ .

هو رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة وبلغ من بخله أنه سقي إبله فبقي في أسفل الحوض ماء قليل فسلاح فيه ومدر الحوض به فسمى مادراً لذلك واسمه مخارق . [ص 112] .

قال أبو الندى : وذكروا أن بني فزارة وبني هلال بن عامر تنافروا إلى أنس بن مذكرك الخثعمي وتراضوا به فقالت بنو عامر : يا بني فزارة أأكلتكم أيّر حمار فقالت بنو فزارة : قد أكلناهم ولم نعرفه وحديث ذلك أن ثلاثة نفر اصطحبوا فزاري وثعلبي وكلابي فصادوا حمارا ومضى الفزاري في بعض حاجته فطبخا وأكلوا وخبأ للفزاري جردان الحمار (جردان الحمار وجوفانه - بضم جيمهما - قضيه) فلما رجع الفزاري قال : قد خبأنا لك فكل فأقبل يأكله ولا يكاد يسيعه فقال : أكل شواء العيّر جوفان (جردان الحمار وجوفانه - بضم جيمهما - قضيه) يعني به الذكّر وجعلا يضحكان ففطن وأخذ السيف وقال : لتأكلانه أو لأقتلنكما ثم قال لأحدهما وكان اسمه مرقمة : كلّ منه فأبى فضربه فأبان رأسه فقال الآخر : طاح مرقمة فقال الفزاري : وأنت إن لم تلاقمه قال محمد بن حبيب : أراد إن لم تلاقمه فلما ترك الألف ألقى الفتحة على الميم قبل الهاء كما قالوا ويلّم الحيرة وأي رجال به : أي بهما . قلت : إنما قدّر الهاء في تلاقمها إرادة المضغة أو البضعة وإلا فليس في الكلام الذي مضى تأنيث ترجع الهاء إليه فقالت بنو فزارة : ولكن منكم يا بني هلال من قرى (قرى - جمع) في حوضه فسقى إبله فلما رويّ سلاح فيه ومدره بخلاً به أن يشرب فضله فقص أنس بن مذكرك على الهالين فأخذ الفزاريون منهم مائة بعير وكانوا تراهذوا عليها .

وفي بني فزارة يقول الكُمَيْت بن ثعلبة والكميت من الشعراء ثلاثة : أقدمهم هذا ثم كميت بن معروف ثم كميت ابن زيد وكلمهم من بني أسد :

نشدتُك يا فزاراً وأنت شَيْخٌ ... إذا خِيَّرتَ تخطئ في الخيار .

أصَيْدَ حَانِيَةً أُدِمَتْ بِسَمْنٍ ... أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَيْرُ الْحِمَارِ .

بلى أيرُ الحمار وخُصِيَّتَاهُ ... أَحَبُّ إِلَى فَزَارَةٍ مِنْ فَزَارٍ .

فحذف الهاء من فزارة كما تحذف في الترخيم وإن كان هذا في غير النداء ويجوز أن يكون أراد " من فزاري " فخفف ياء النسبة .

وفي بني هلال يقول الشاعر :

لقد جَلَّ سَلَاتُ خَزِيَّاهُ هَلَالُ بَنِي عامِرٍ ... بِبَنِي عامِرٍ طُرَّاهُ بِسَلَاةِ مَادِرٍ .

فَأَفَّ لَكُمْ لَا تَذْكُرُوا الْفَخْرَ بعدها ... بني عامر أنتم شِرَارُ الْمَعَاشِرِ .

وفي بني فزارة يقول ابن دَارَةَ :

لَا تَأْمَنْنَ فَزَارِيَّاهُ خَلَاوَتَ بِهِ ... عَلَى قَلَاوَصِكَ وَاكْتُبْهَا بِأَسْيَارِ [ص 113] .

لَا تَأْمَنْدَنَّهُ وَلَا تَأْمَنْ بَوَائِقَهُ ... بِعَدَدِ الَّذِي امْتَدَّلَ أَيْرُ الْعَيْرِ فِي

النار .

أَطْعَمْتُمُ الضَّيْفَ جُوفَانًا مُخَاتَلَةً ... فَلَا سَقَاكُمُ إِلَهِي الْخَالِقُ الْبَارِي

.

قال حمزة : وحدثني أبو بكر بن دُرَيْد قال : حدثني أبو حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَرَأَ

عليه حديثَ مَادِرٍ فَضَحَكَ قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : مَا الَّذِي أَضْحَكَكَ ؟ فَقَالَ : تَعْجِبُنِي مِنْ تَسْيِيرِ الْعَرَبِ

لَأَمْثَالِ لَهَا لَوْ سَيَّسَرُوا مَا هُوَ أَهَمُّ مِنْهَا لَكَانَ أَبْلَغَ لَهَا قُلْتُ : مِثْلُ مَاذَا ؟ قَالَ : مِثْلُ

مَادِرٍ هَذَا جَعَلُوهُ عِلْمًا فِي الْبُخْلِ بِفَعْلَةٍ تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ وَتَرْكُوا مِثْلَ ابْنِ الزُّبَيْرِ مَعَ مَا

يُؤْثَرُ عَلَى لَفْظِهِ وَفَعَلَهُ مِنْ دَقَائِقِ الْبُخْلِ فَتَرْكُوهُ كَالْغُفْلِ : مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ

أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَوْمِئِذٍ خَلِيفَةُ يُقَاتِلُ الْحِجَاجِ ابْنَ يُوسُفَ عَلَى دَوْلَتِهِ وَقَدْ دَقَّ الرَّجُلُ فِي صُدُورِ

أَهْلِ الشَّامِ ثَلَاثَةَ أَرْمَاحٍ فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا اعْتَزِلْ عَنْ حَرْبِنَا فَإِنَّ بَيْتَ الْمَالِ لَا يَقْوَى عَلَى

هَذَا . وَقَالَ فِي تِلْكَ الْحَرْبِ لَجْمَاعَةٍ مِنْ جُنْدِهِ : أَكَلْتُمْ تَمَرِي وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي وَسَمِعَ أَنَّ

مَالِكَ بْنَ أَشْعَرَ الرِّزَامِيَّ مِنْ بَنِي مَازِنٍ أَكَلَ مِنْ بَعِيرٍ وَحَدَّه وَحَمَلَ مَا بَقِيَ عَلَى ظَهْرِهِ فَقَالَ :

دُلُّوْنِي عَلَى قَبْرِهِ أَنْبِشْهُ وَقَالَ لِرَجُلٍ أَتَاهُ مُجْتَدِدًا وَقَدْ أُبْدِعَ بِهِ فَشَكَا إِلَيْهِ حَفَايَ

نَاقَتِهِ قَالَ : اخْصِفْهَا بِهَلْبٍ وَارْقَعْهَا بِسَبْتٍ وَأَنْجِدْهَا بِبَيْرُودٍ خَفَهَا فَقَالَ الرَّجُلُ :

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جِئْتُكَ مُسْتَوْصِلًا وَلَمْ آتِكَ مُسْتَوْصِفًا فَلَا بِقِيَّةٍ نَاقَةٌ حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ

فَقَالَ : إِنَّ صَاحِبَهَا وَلِهَذَا الرَّجُلُ فِيهِ شَعْرٌ قَدْ نَسِيَ .

قلت : وفي بعض النسخ من كتاب أفعل : كَانَ هَذَا الرَّجُلُ عَبْدًا بَنِي فَضَالَةَ (الْمُحْفُوظُ أَنَّ

اسْمَ هَذَا الشَّاعِرِ عَبْدُ ابْنِ الزُّبَيْرِ - بَفَتْحِ الزَّايِ وَكَسْرِ الْبَاءِ - الْأَسَدِيُّ) الْأَسَدِيُّ وَلَمَّا انْصَرَفَ

مِنْ عِنْدِهِ قَالَ :

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ ... نَكَدْنَ وَلَا أَمِيَّةَ بِالْبِلَادِ .

وَمَالِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقٍ ... إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ .

فِي أَبْيَاتِ . وَابْنُ الْكَاهِلِيَّةِ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ كَانَتْ جَدَّةُ مِنْ جَدَاتِهِ مِنْ بَنِي

كَاهِلٍ فَلَمَّا بَلَغَ الشَّعْرُ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ : لَوْ عَلِمَ لِي أَمَا الْأَمُّ مِنْ عَمَّتِهِ لَسَبَّ نِي بِهَا

قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : فَلَوْ تَكَلَّفَ الْحَارِثُ بْنُ كَلَادَةَ طَبِيبُ الْعَرَبِ أَوْ مَالِكُ بْنُ زَيْدٍ مَنَاءَ وَحْدَنِيْفَ

الْوَحْدَاتِمْ آبِلَاَ الْعَرَبِ مِنْ وَصْفِ عِلَاجِ نَاقَةِ الْأَعْرَابِيِّ مَا تَكَلَّفَهُ هَذَا الْخَلِيفَةُ لَمَّا كَانُوا
يَعْشُرُونَهُ وَكَانَ مَعَ هَذَا يَأْكُلُ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ أَكْلَةً وَيَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ : إِنَّمَا بَطْنِي شَيْدُرٌ فِي
شَيْدُرٍ وَعِنْدِي مَا عَسَى يَكْفِينِي فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ : [ص 114] .
لَوْ كَانَ بَطْنُكَ شَيْدُرًا قَدْ شَبِعَتْ وَقَدْ ... أَفْضَلَتْ فَضْلًا كَثِيرًا لِلْمَسَاكِينِ .
فَإِنْ تَصِيدُكَ مِنَ الْأَيَّامِ جَائِحَةٌ ... لَا تَبْذُرْ مِنْكَ عَلَى دُنْيَا وَلَا دِينَ .